كنت هناك لجميل السلحوت

القدس:١٥ -١١-٢٠١٢ ناقشت الندوة كتاب"**كنت هناك**"**للأديب المقدسي جميل السلحوت**، والذي صدر قبل أسابيع قليلة عن **منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية في رام الله.**

بدأ النقاش **إبراهيم جوهر** فقال:

لا تغيب القدس عن خطوات الكاتب (جميل السلحوت) في كتابه (كنت هناك) الصادر عن وزارة الثقافة مؤخرا، فمنها ينطلق، وإليها يعود بشوق، وعنها يحكي وينقل ويخبر. وهي دائمة الحضور في وجدانه؛ يقارن حالها بحال المدن التي يراها ويزورها من شقيقاتها، ويستذكرها في صحوة ومنامه، وفي أحاديثه ومقارناته. إنها الحاضر في غيابه، الغائب الماثل في العقل والوجدان.

يحكي عن حالها وهي ترزح تحت نير الاحتلال، وينقل واقعها المحاصر ثقافيا، ويبكي حالها في الأسر.

القدس دائمة الحضور لا تغيب إلا لتعود عند الكاتب الذي كتب انطباعاته ونقل زياراته إلى مدن عمان، والرياض، والقاهرة، وبيروت.

استعان الكاتب بأسلوب الاستطراد الذي يواصل حضور المعنى؛ فعندما يشير الكاتب إلى الماء في موضع ما

يستذكر حال المياه الجوفية المنهوبة في فلسطين. وحين يشير إلى الأمن السائد والسير بطمأنينة يذكر واقع الخوف وعدم الاستقرار في الوطن.

يسرد الكاتب ويخبر بأسلوب إخباري سلس شائق مشوّق ليقول أمرا ويرسل رسالة. إنه لا يقص أخبارا جافة بهدف المعلومة والإعلام فقط، بل ليقارن، ويقف على المعنى، وينقل حال التغير العمراني، وينقل دموع الناس الصادقين المقهورين حين يسأل سائلهم: متى تعود القدس؟ أو: ما حال القدس؟

يبكي القوم حسرة، وفي البكاء دليل حياة؛ القدس تحيا في الوجدان. الناس لم ينسوا القدس.

رحلات أراد الكاتب توثيقها بلغة إخبارية مطعمة بلغة الأدب والسياسة. وجغرافيا مكان وإنسان نقلها بوعي ومتعة. يجد القارئ في (كنت هناك) الأساليب التعبيرية المتجاورة المتضافرة. ويقف على معلومات في الجغرافيا والوعي والعلاقات والعادات.

استخدم الكاتب أسلوب السرد الحقيقي الواقعي الذي يقدم معلومات للقارئ يردفها بتعليق خاص به بعيدا عن مواصلة خط سرده؛ يستقطع الكاتب مكانا من مساحة السرد ليعلّق ويذكّر، وكأنه يقول: إنما أسوق هذا السرد بمعلوماته لأذكّر بواقع ما زال ماثلا. فالاحتلال ما زال يربض على صدر القدس وشعبها الفلسطيني.

واستعان الكاتب أيضا بأسلوب الاسترجاع؛ فهو يستذكر الأمكنة، والأزمنة، والقدس، والسيرة الشخصية في مواقف محددة.

ويربط ما يشاهده في المدن العربية التي زارها بواقع وطنه، وحين يسير بحرية في شوارع المدن يذكر أنه يفتقد لهذه الحرية في وطنه.

الكاتب هنا في سرده بضمير ال(أنا) إنما يسرد (أنا) الشعب والوطن في جزء من سيرته ومسيرته. فهذا التوثيق لا يرمي إلى التسجيل والتوثيق فقط، بل يقدّم مقارنة متخيلة حينا ومصرحا بها حينا آخر.

لهذا الكتاب الذي يواصل مسيرة (أدب الرحلات) أربع قيم أرادها الكاتب وأوصلها الكتاب؛ قيمة توثيقية، وقيمة أدبية، وقيمة وطنية، وقيمة فكرية.

لقد عاش الوطن بجماله وتاريخه ومكانته في نفس القارئ فلم يغب عنه لحظة بل رأيناه يزداد تمسكا به وحلما بالرجوع إليه. لم يتمن البقاء سائحا ذا احترام في مدن عربية أحبها، وتغنى بجمالها وهدوئها وأمنها، بل ظل يذكر وطنه في حلّه وترحاله مذكّرا بقول الشاعر العربي:

هب جنة الخلد عدن / لا شيء يعدل الوطن

وقال **موسى أبو دويح:**

أهدى الشّيخ كتابَه إلى حفيده الأوّل والأصحّ إلى سبطه ابن ابنته المسمّى "كِنان."

وجاء في فهرس الكتاب سبعة عناوين هي:

١. كنت في عمان
٢. السّعوديّة كما شاهدتُها
٣. في أمّ الدنيا
٤. في بلاد العمّ سام (أمريكا الإمبراطوريّة الخرافيّة)
في السّاحة الحمراء
٥. سوريا
٦. لبنان جنّة الشّرق.

وكلّ عنوان من هذه العناوين السّبعة مقسّم إلى عدد من العناوين الفرعيّة.

الكتاب هو من أدب الرّحلات، حيث زار الشّيخ الأردنّ، والسّعوديّة –لأداء فريضة الحجّ، ضمن وفد ثقافيّ فلسطينيّ– وزار مصر الّتي تسمّى أمّ الدّنيا، وسافر إلى أمريكا لزيارة إخوته، وبعض أقاربه هناك عدّة مرّات؛ حيث زار عددًا من الولايات الأمريكيّة، وسافر إلى الاتحاد السّوفييتي في رحلة علاجيّة، وزار سوريا في فترة دراسته في جامعة بيروت العربيّة في لبنان. وكتب الشّيخ عن كلّ ما رأى في رحلاته المتعدّدة والّتي استغرقت زمنًا طويلاً من ريعان شبابه إلى شيخوخته.

كتب الشّيخ بقلمه السّيّال عن كثير ممّا رأى وشاهد في رحلاته، ومزج كلّ ذلك بالهمّ الفلسطينيّ المجبول بعذابات

الاحتلال الصّهيونيّ لفلسطين؛ فكلّما رأى الشّيخ مكانًا يسعده ويسرّه، تذكر احتلال يهود لفلسطين، ومحاولاتهم اقتلاع الشّجر، وهدم الحجر، وقتل البشر، وإزالة كلّ أثر لما هو فلسطينيّ، أو عربيّ، أو إسلاميّ في أرض فلسطين؛ ظنًّا منهم أن ذلك يجعل فلسطين وطنًا لهم لا ينازعهم فيه أحد. وقد خابوا وخاب فألُهم، ففلسطين هي بلد من بلاد المسلمين، ويكفيها أنّ فيها المسجدَ الأقصى؛ أولى القبلتين، وثالث المسجدين، والصّخرة المشرّفة التي تعلوها القبّة الذّهبيّة، وهما أكبر شاهد ودليل على إسلاميّة فلسطين منذ فتحها أبو عبيدة عامر بن الجرّاح واستلم مفاتيحها الخليفة عمر ابن الخطاب من صفرونيوس الرّوميّ، وكتب عمر يومها بينه وبين صفرونيوس عهدًا وميثاقًا عرف فيما بعد باسم (العهدة العمريّة) قبل أكثر من ألف وأربع مئة سنة.

وممّا لفت نظري أنّ الشّيخ أرّخ لعنوان (جنّة الشّرق لبنان) بـ ٢٠١١/٠٣/٢٥م مع أنّه زار لبنان أثناء دراسته في جامعة بيروت العربيّة في سبعينات القرن الماضي.

وأرّخ لموضوع سوريا بـ ٢٠١١/٠٣/١٠م، مع أنّه زار سوريا في طريقه إلى الجامعة في بيروت في سبعينات القرن الماضي أيضًا، وأرّخ لزيارته لموسكو والسّاحة الحمراء بـ ٢٠١١/٠٣/١٥م، مع أنّه سافر إلى الاتّحاد السّوفيتيّ سنة ١٩٨٤م، وأرّخ لزياراته لبلاد العمّ سام بـ ٢٠١١/٠١/١٥م.

وأرّخ لزيارته لمصر في ٢٠١١/٠٣/٠٨م مع أنّها كانت في السّبعينات. وأمّا العنوان الأول (كنت في عمان) فأرّخ له الشّيخ بتأريخه الحقيقيّ ٢٠١٠/٠٩/٢٧م. وكذلك العنوان الثّاني (السّعوديّة كما شاهدتُها) أرّخ له الشّيخ بتاريخه الحقيقيّ أيضًا في السّنة الّتي أدّى فيها فريضة الحجّ ٢٠٠٩/١٢/٢١م.

هذا الكتاب يشهد للشّيخ أنّه كاتب ذو قلم سيّال، وما قام به الشّيخ يقوم به كثيرون إلاّ أنّ الشّيخ استخرج من رحلاته العاديّة كتابًا أدبيًّا من (٢٦٦) صفحة في وصف رائع لكلّ ما شاهد، وكثيرون يسيحون أكثر من سياحة الشّيخ ويشاهدون أكثر ممّا شاهد، ولا يسطرون كلمةً واحدةً عمّا شاهدوه. فهذا هو الفرق بين أديبٍ كاتبٍ، ورجلٍ سائحٍ.

وفي الحقيقة أنّي قرأت الكتاب على عجل بدون تدقيق، ولكنّ ما لاحظته بقراءتي المستعجلة هو:

صفحة (٣٧): (وجدنا أنفسنا في ماحص والمحيص)، والصّحيح: والفحيص.

صفحة (٤٠): (لا تشدّ الرّحال إلا إلى لثلاثة مساجد)، والصّحيح: إلى ثلاثة مساجد بحذف حرف الجر اللام من ثلاثة.

صفحة (٥١): (فإحدى الأبراج مبنيّ على شكل قلم واحداها على شكل سفينة)، والصّحيح: فأحد الأبراج... وأحدها أو وثانٍ أو وآخر.

صفحة (٦٠ و٦١): جاءت كلمة كافّة أربع مرات: (في كافة النّشاطات، من كافّة الأخوة، يغطي كافّة أرجاء المملكة، توفير كافّة السّبل)، وهذا استعمال خاطئ؛ لأنّ كلمة (كافّة) لا تأتي إلا حالاً منصوبة، وكان عليه أن يقول: في النّشاطات كافّة، من الأخوة السّعوديّين كافّة، ويغطي أرجاء المملكة كافّة، وتوفير السّبل كافّة.
صفحة (٦١): (رجال أكفياء)، والصّحيح: رجال أكْفاء بحذف الياء.
وقال **جمعة السمان:**

بداية احترت في أمر هذا العنوان"كنت هناك" حيث شعرت أنه يميل أكثر الى المذكرات.. أو سفير النوايا الحسنة.. أو دعوة الى إحياء التراث.أمسكت الكتاب أقلبه.. الأردن،
السعودية،مصر ،أمريكا ،قبرص، الإتحاد السوفيتي،سوريا ،لبنان.. الى أن وصلت الى آخر صفحاته والعدّ٢٦٦.. فقلت أحادث نفسي أي خطأ أوقع فيه الكاتب نفسه..؟؟

إذ أن كل ما تصفحته قرأناه في المدارس والجامعات.. وسمعناه في الإذاعات وشاهدناه على شاشة التلفزيونات.. أو حتى أن الكثيرين منا عاشه.. وقد يكون ما زال في جسده أثر جرح.. أو إصابة.. فما الجديد الذي سيعطينا إياه الكاتب وخصوصا أننا أبناء وطن واحد.. والجميع

يعرف كل شئ ذكر عن هذه البلاد.

هي صفحات فقط.. وإذا بي أتراجع وألوم نفسي أنني تسرعت في الحكم على الكاتب والكتاب.. حين وجدت نفسي أمام "حدوثة" لا يمكنني الفكاك منها.

وأبدع الكاتب حين اختار لهذا النص أسلوب الحدوثة شديدة التشويق.. كثيرة المفاجآت.. غنيّة المعلومات..فيها الصدفة والمخاطرة والأمل واليأس وانقطاع الرجاء.. بحيث كان الكتاب "بوصلة" حدّدت لنا موقعنا.. وأسلوب تعاملنا مع بعضنا.. وأين نحن من عالم آخر يتفوق علينا حضارة وعلما وثقافة عشرات السنوات.

١. أمريكا كم كنت فرحا حين سمعت هؤلاء الذين نغبطهم على علمهم وحضارتهم وتفوقهم علينا في كثير من نواحي الحياة .. أنهم يغبطوننا ويحسدوننا أننا نتفوق عليهم "كإنسان".. أسرة وأخلاق وطاعة والدين وتماسك وإرتباط..

بروفسور يتبرأ من ولده ويطلب أن يتبنى ولدا عربيا.. أليس في هذا اعتراف..؟؟

لا شك أنه اعتراف جعلني أحقد على كل عربي جاهل يشتمني ويشتم نفسه ويشتم عروبته.. بأقذع الشتائم والألفاظ للدرجة التي أفقدتنا ثقتنا ببعضنا وفي أنفسنا..

وأنستنا أننا سادة شعوب العالم حضارة وخلقا وإنسانية واحتراما.. وهذا باعتراف سيدة لها خبرة في معظم شعوب

العالم التي تتعامل معهم بصفتها موظفة تعمل في قلم التسجيل في جامعة من أعرق جامعات الولايات المتحدة. لقد كان لهذا المديح تأثير.. أحيى عراقة وأصالة العربي في نفسي.. مما جعلني أبدأ الحديث عن علماء.. وأهل فكر يمدحوننا بما نسيناه عن أجمل ما يكون في أنفسنا.

٢. فلسطين والأردن ومدينة عمان الذي يعشقهاً الكاتب جعلني أنسب له لقب "سفير النوايا الحسنة" بين الشعبين.. كان في حديثه من المحبة ما جعلني أشتاق الى أخي الأردني الذي هو نسيبي وصهري أكثر.. وكذلك بالنسبة لفلسطين وبالرغم أنني ابن فلسطين ومن تراب قدسها حفيدا وأبا وجدا.. ولكن قلم الكاتب جعلني أعشق فلسطيني وقدسي أكثر.

٣. السعودية وطن كل مسلم .. وبيت لكل عربي أينما وجد على خارطة بلاد العرب

جميعنا يعرف تقريبا كل مهم عن الديار الحجازية.. إلا أن الكاتب صال وجال.. وعرفنا على كل جديد فيها من علم حديث وبناء وحضارة.. والأجمل من كل هذا أنه شوقنا إلى لقاء ومعرفة هؤلاء الإخوة الكرماء الأكارم .. الذين ما زالوا يتحلون بأخلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.. وحبهم للقدس وفلسطين، حيث انه اختلطت الدموع تأسفا وحسرة على وضع القدس وفلسطين.

٤. مصر.. أمّ الدنيا.. رجل بسيط يعمل شرطيا.. يتعرف على شابين من مدينة القدس.. وكان الليل قد شارف على آخره.. يصر أن يحضنهما ويستضيفهما في بيته دون معرفة سابقة.. لا يشفع لهما سوى أنهما من مدينة القدس.. أي خلق عربي كريم هذا؟ .. وأيّ محبة لك يا قدس في قلوب الأمة العربية..؟؟

٥. الإتحاد السوفييتي.. لقد طغى على كل ما قرأت عن تلك البلاد محبة الإخوة

العرب وتعاونهم وطوفان شوقهم لبلادهم، ولسماع كل ما يخص القدس وأسرهم.. ولهفة آذانهم لسماع كل ما يخص القدس وفلسطين قبل السؤال عن أهلهم وذويهم.

٦. سوريا وكرم أهلها.. وسعة صدرها.. واحتضان الفلسطيني.. وتيسير سبل الحياة له.. ليعيش حياة حرة كريمة.

كان في قلم الكاتب اعتراف بالجميل عن كل مهاجر عاش في الأراضي السورية.

٧. لبنان: ولفت نظر الدولة على مأساة الفلسطيني الذي يعيش على أرضها.

وتنتهي ال ٢٦٦ صفحة لأقول للكاتب أبدعت في جديدك الجميل الذي فاجأتنا به من

جمالية اللغة.. وإبداع الحرف والكلمة وترتيب النقلة من

حدث الى حدث.. ولا أشك أبدا أن التفوق في رواياتك القادمة سيكون لجمالية اللغة وإبداع الحرف والكلمة.

وقال **رفعت زيتون:**

كان هناك كاتبنا جميل السلحوت، وكنّا معه بصحبته.

هو كان بجسده وروحه وقلمه، ونحن كنّا بخيالنا وحروفه التي طاف بنا من خلالها

الى كلّ الدّول والمدن التي زارها واصفا اللحظة ومكانها بطريقة جعلتنا نشاهدها

أمامنا ونتفاعل مع الحدث كأنّنا جزء منه، وكأنّنا نقرأ كتاب تاريخ تارة وجغرافيا تارة أخرى بأسلوب قصصيّ مشوّق في أغلب الأحيان، ودون ذلك في أحيان أخرى وخاصّة في تلك المواضع التي تطرّق فيها إلى الحديث عن أفراد العائلة والاصدقاء

بأسمائهم وبتفاصيل لا تعني القارئ ولا تهمّه، ولو قلّل منها لكان ذلك أفضل، فقد احتلّ الحديث عن أفراد العائلة واللقاءات الأسريّة الخاصّة والولائم والموائد حيّزا كبيرا من الكتاب، كان يمكن أن يملأ بالحديث أكثر عن تلك الأماكن والشّعوب بما يُثري المعرفة ويزيد من الفائدة والمتعة والتّشويق.

لا مكان للملل في كتاب كهذا فالتنقّل بين صفحاته كان مرتبطا بالتنقّل بين المدائن

والشّعوب، محدّثا عن عاداتها وتقاليدها وأنماطها

الإجتماعيّة، وأحداث مرّ بها ممّا أشعر القارئ بالسّرد القصصي وبأسلوب أقرب الى الحكاية الشّعبيّة مقرونة بالأمثال باللهجة العاميّة والفصحى والأشعار والمقولات المشهورة لكتاب وشعراء كثر.

هذه الأحداث التي تخلّلت الكتاب كانت أيضا متنوعة فمنها المضحك السّاخر، ومنها التراجيديّ ومنها ما يشبه المغامرة التلفزيونيّة... هذا زاد متعة القراءة لدى القارئ.

كان للأصدقاء كما قلت سابقا حيّز لا بأس به، وبعض الحديث عن الأصدقاء ولقاء الكاتب بهم خدم النّصوص من حيث التنقّل في مناطق أحسن الكاتب وصفها جيدا كما كان من تجربته مع الصّديقة الكريمة نور تركماني، وهي الشّاعرة الأردنية التي تتنفس فلسطين وتتلقّف القادمين منها من الأصدقاء، وتستضيفهم وهي المشرفة على الصّالون الأدبي الذي تقيمه في بيتها للقاء يجمع الأدباء والشّعراء بشكل دوريّ.

الكتاب كان أقرب إلى يوميّات الأستاذين محمود شقير وإبراهيم جوهر منه إلى أدب الرّحلات، ولكن مع اختلافات تخصّ مكان الحدث والخروج به من فلسطين إلى خارجها.

غادر الأستاذ جميل السلحوت القدس عبر نهر الأردن الحزين إلى كلّ العواصم التي مرّ بها، ولكنّها أبتْ أن تغادره فلازمته في كلّ مكان ذهب إليه، وكان أنّى ولّى وجهه رأى القدس بأقصاها وشوارعها وأزقّتها وحاراتها

وأهلها وسورها، وربط كلّ حدث هناك بشيء هنا بأسلوب بسيط محبّب، كان بعيدا عن تعقيدات اللغة فجاءت البلاغة تمشي على استحياء كمشية الكاتب إلى صديقته في عمّان كما وصف ذلك. قرأت في الكتاب تجربة حياة كبيرة وعرفت من خلالها أمورا أسمع بها لأول مرّة وليته أكثر منها، وقد برع كما قلت سابقا في الوصف وخصوصا للأماكن مؤرّخا تواريخ الأحداث بدّقة.

وعرفت من خلال بعض الأحداث كيف يمكن للحياة والموت أن يكونا خلف صدفة ما، طبعا هذا بمفهوم البشر أما بمفهوم ربّ البشر فالصّدفة مقدّرة تقديرا دقيقا.

خلا الكتاب من المواجهة مع الرّسميات العربية والحكومات وتقصيرها في حقّ القدس وفلسطين، وكان كيل المدح لهم أكثر من تحميلهم بعض المسؤوليّة وهذا فيه شيء من التّملّق الذي أفهم بعضه وأنكر أكثره.

وأخيرا أهنّئ الكاتب جميل السلحوت وندوة اليوم السّابع على هذا الوليد الجديد، هذا الكتاب الذي اعتبره دليلا سياحيّا ولو بشكل محدود، وكتابا ممتعا ومفيدا ومختلفا عمّا قدّم لنا سابقا، ولو شاءت الظّروف أن يكون له طبعة جديدة فإنّني أنصح بالتّقليل من الحديث عن التّفاصيل العائليّة وإضافة المزيد من الأحداث التي فيها إثراء للتّجربة الإنسانية والثّقافيّة، وخاصة تلك التي تتحدث عن قيم واعتقادات وعادات لتلك الأمم.

ومن الإمارات العربية المتحدة كتب إلينا **الدكتور عواد أبو زينة:**

انطباعاتي عن "كنت هناك"لجميل السلحوت

انتهيت لتوي من قراءة هذا الكتاب الذي وصلني مع الأخ عيسى قواسمي من ضمن مجموعة كتب لكتاب فلسطينيين في القدس وشمال فلسطين.

استمتعت على مدى يوم وليلة برحلات متعددة الأهداف والجغرافيا والتاريخ قام بها الكاتب وسجلها في هذا الكتاب، وسأضع انطباعاتي كما يلي وأتمنى أن يتسع لها صدر كاتبها، وليسامحني إن أخطأت:

أولاً: غلاف الكتاب لوحة جميلة تشكلت من لقطات من بيئات وثقافات متنوعة، ما بين تمثال الحرية في نيويورك إلى الأهرامات إلى تماثيل بدت لي أنها من أمريكا اللاتينية إلى قباب مساجد ومآذن وشلالات أنهار ، ومناظر لأحياء تبدو شعبية ذات بيوت بسيطة، وربما متاحف أو أبنية تاريخية قديمة، كان تمثال الحرية واضحاً وبلون أخضر في حين غلب اللون البني والمائل إلى الصفرة على صورة الغلاف، ولا أدري لماذا حظي التمثال بلون مميز؟.

ثانيا: الكتاب في طبعته الأولى من منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية في عام 2012، وقد صدر بمناسبة اختيار

الكاتب جميل السلحوت شخصية القدس الثقافية للعام 2012. أهدى الكاتب كتابه إلى حفيده الأول (كنان) الذي أبدى المؤلف علاقته (الغلاوة) بهذا الحفيد الأول، وقدم له الشكر.

ثالثا: يقع الكتاب في 265 صفحة من القطع المتوسط، وطبع بخطوط كبيرة نوعا ما، وفيه سبعة أقسام كل منها يتحدث عن رحلة أو رحلات إلى كل من: عمان/الأردن، والسعودية، ومصر، وأمريكا، وموسكو، وسوريا، ولبنان. وفي حين كان القسم عن أمريكا هو وصف وتسجيل ورحلات متعددة، وفي سنوات مختلفة ولأماكن متعددة، امتدت حتى بورتوريكو في الكاريبي، فإن الرحلات الأخرى، كانت تسجيلاً لرحلة واحدة، كما سجل الكتاب غير ما رحلة واحدة إلى لبنان، في حين كان التسجيل لرحلة واحدة لكل من عمان والسعودية (تخللها أداء فريضتي العمرة والحج) وسوريا وموسكو ومصر. وكان أطول هذه الأقسام هو الرحلات المتكررة إلى الولايات المتحدة وجاء في 84 صفحة وأصرها في الكتاب كان عن رحلة سوريا "10صفحات"

رابعاً: معظم قصص الكتاب كتبت في آذار/مارس 2011، سبقه القسم الطويل عن الرحلات إلى الولايات المتحدة إذ انتهى الكاتب من كتابتها في أشهر الأول من عام 2011، وبذلك تكون معظم الرحلات في الكتاب قد كتبت

بين الشهر الأول والثالث من العام 2011، في حين كتب القسم عن زيارة السعودية في عام 2009، وإلى الأردن في عام 2010، وزمن الكتابة يختلف عن أزمنة الرحلات كما سيأتي تالياَ.

خامساً: ترتيب الأقسام في الكتاب لا يخضع لا لزمن حدوث الرحلات، ولا لتاريخ كتابتها ولا لحجم الصفحات في كل قسم من الأقسام، فمن حيث الزمن كانت رحلات الكاتب إلى سوريا ولبنان في حزيران/يونيو عام 1971، وكأنهما رحلة واحدة، ووقعتا في نهاية الكتاب، وكانت الرحلة إلى عمان في سبتمبر عام 2010 وجاءت أول رحلة في الكتاب، وإلى السعودية في تشرين الثاني/نوفمبر 2009، وإلى مصر في شباط/فبراير 1975، وكانت الرحلة الأولى إلى أمريكا عام 1985، وتكررت في سنوات متعددة، وكان آخرها عام 2006 حين تخرج قيس ولد الكاتب في الجامعة. وكانت الرحلة إلى موسكو في عام 1984، وهي رحلة علاجية، بينما كانت الرحلة إلى سوريا ولبنان للدراسة في جامعة بيروت العربية، وكانت الرحلة إلى مصر لأداء الامتحانات الجامعية في الإسكندرية، بينما كانت الرحلة إلى السعودية ضمن وفد فلسطيني للمشاركة في مهرجان فلسطين الثقافي في الرياض برعاية وزارة الثقافة السعودية، وقد تهيأت الأقدار للكاتب ولأربعة من زملائه لأداء فريضتي الحج والعمرة، في حين كان

الرحلات الأخرى باعثها الرئيسي العلاقات الاجتماعية وإن لم تتوقف عند ذلك في سردها.

سادساً: هناك فترة زمنية انقضت بين وقوع هذه الرحلات وبين كتابتها، قد تطول بضع عقود، إلى سنوات قليلة، ويبدو لي أن الكاتب كان يسجل انطباعاته أثناء الرحلات، وحين كتبها عاد إلى تلك المذكرات وأعاد صياغتها، وإلا لما كان يقدر على تذكر تلك الأسماء للأشخاص والمواقع والعناوين، وهكذا.

سابعاً: الهم الأساسي والرئيسي، والقضية التي ظلت تؤرق فكر الكاتب ورؤيته هو الفلسطيني وقضيته في الشتات والشقاء، ومصير المسجد الأقصى، وبخاصة في أثناء رحلته في السعودية وعمان، فكلما رأى مشهداً انتقل بذاكرته إلى فلسطين والقدس والأقصى ورثى لحال فلسطين والفلسطينيين.

ثامنا: ذكرني الكتاب بأدب الرحلات العربي، وبشكل خاص ذكرني بأسلوب ابن جبير في رحلته من المغرب إلى الجزيرة العربية إلى بلاد الشام. الأسلوبان متشابهان في عدة أمور. الكاتب فيهما يرى ويسمع ويحلل ويسأل ويجيب وينفعل ويتفاعل، وهو دائما موجود بذاته، وهناك تفاصيل ورصد للعادات والتقاليد والثقافات ومكونات البيئة وعادات المجتمعات والشعوب بملابسهم ولغاتهم، وطريقة حديثهم، وخبراتهم، ومأكلهم ومشربهم، وطريقة تعاملهم

مع الزائر والغريب أو القريب، ووصف للعمران والآثار والشوارع والمدن والأحياء وطرق المواصلات، والغابات والمياه وسلوك الأفراد بما فيها من غرائب وطرائف لا سيما في رحلاته إلى الولايات المتحدة وبورتوريكو التي زارها مرتين –كما أذكر– ... وهكذا يهيأ لي أن السلحوت لم يترك شيئا مهما يفيد منه ويستفيد ولم يسجله في كتابه. وفي رحلاته إلى الولايات المتحدة هناك وصف مطول لحياة الفلسطينيين وبخاصة لإخوته وعائلاتهم وأنشطتهم وأشغالهم، وعلاقاتهم، وأرباحهم وخساراتهم، والأخطار التي أحدقت بهم، وتاريخ هجراتهم، وارتباطاتهم بالوطن، كما ضم هذا الجزء سرداً للعلاقات العائلية والارتباطات الأسرية وأسماء الزوجات والأبناء، وبعض شذرات من حيواتهم.

تاسعاً: الكاتب حاضر دوماً فالرحلات هي نوع من المذكرات الشخصية، ولذلك فالكتاب مروي بلسان المؤلف، ويسجل انطباعاته وخبراته الذاتية.

عاشراً: بالإضافة إلى الانطباعات قدم المؤلف كثيرا من المعلومات والحقائق المفيدة في كل بقعة زارها وتحدث عنها، هذه المعلومات تشمل الإنسان والبيئة والثقافة وتنوعاتها.

أحد عشر: عاطفة الكاتب ومشاعره حاضرة دوماً، فالكتاب تجربة ذاتية، ولذلك غلبت عليه عاطفة جياشة، وأحاسيس مرهفة، ووجدانيات ارتبطت بالأشخاص وبالأمكنة

وبالعلاقات وبالذكريات، وبخاصة في رحلته إلى السعودية التي كان الكاتب فيها إيجابياً كلياً، بل أستطيع القول إنها كانت إيجابية مبالغ فيها، ونادر جداً جداً ما فسر بعض المواقف سلبيا، كخسارته للكتب التي أهديت إليه أثناء الرحلة في مطار جدة بسبب سوء معاملة موظف شركة الطيران، على الرغم من أنه لم يصف تصرف ذلك الموظف بأنه سيء، ولكنه وصف مني.

ثاني عشر: لغة الكتاب لغة مثيرة وشائقة وذات جاذبة عالية للقاري، كما اتسمت بالمباشرة في الوصف، وهو الأسلوب الملائم والمتبع في هذا الجنس الأدبي، ولكن يبدو لي أن السلحوت لم يراجع الكتاب في نسخته التجريبية، أقصد قبل النسخة النهائية للطباعة، والا لن تفوته مسائل إملائية لا يمكن أن يقع فيها مثل الأستاذ جميل، فهمزة الوصل والقطع مما يعلمه لطلبته في المدارس. ولكني من جهة ثانية أستغرب أن الكتاب وقع في مسالة لغوية شائعة على ألسنة كتاب كثيرين وهي مسألة تكرار الإضافات إلى مضاف إليه واحد.

وشارك في النقاش عدد من الحضور منهم: **محمد عليان، د.وائل أبو عرفة، د.إسراء أبو عياش** حيث عبروا عن عدم رضاهم عن الكتاب من حيث المضمون واللغة والشكل.

في حين أشاد كل **من ديمة السمان، محمود شقير،** بالكتاب مضمونا ولغة ووصفا وتعددا في أساليب الكتابة.